إن تعدد مؤلفات خليل بيدس، وتنوع موضوعاتها، يجعلنا نرى فيه محركاً أساسياً فعالاً في ميدان الحركة الثقافية في فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين؛ إذ ألف في الرواية والتاريخ وتدريس العربية والصرف والآثار والتربية، ومارس التعليم، وكتب في الصحافة، وألقى المحاضرات والندوات. ان هذا النشاط الغزير المتنوع، يضع أمامنا شخصية فذّة، تحتاج إلى الدراسة والتنويه، وإعادة نشر أعمالها التي لم يطلع جيلنا إلا على القليل منها.

مسارح الأذهان

«مسارح الأذهان»، المجموعة القصصية لخليل بيدس التي وصفها بأنها «مجموعة أدبية فنية روائية في حقيقة الحياة»، صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٢٤، عندما نشرها في مصر الياس انطون الياس صاحب المكتبة العصرية، وأصدر الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين طبعتها الثانية في تموز (يوليو) ١٩٨١، ضمن سلسلة إحياء التراث الثقافي الفلسطيني. وسنتناول هذه المجموعة من ناحيتين، الأولى: آراء خليل بيدس في فن الرواية ومكانتها وكتابها؛ وهي الآراء التي وردت في مقدمته للطبعة الأولى (ص ٩ ــ ١٦). والثانية: دراسة قصص المجموعة ذاتها.

١ ــ **آراء بيدس النظرية:** تبدو الآراء النظرية التي أوردها خليل بيدس في مقدمته لمجموعته القصصية، تنظيرات مهمة متقدمة، اذا نظر اليها في اطار الزمن الذي كتبت فيه، وهو عام ١٩٢٤، والظروف الأدبية والاجتماعية السائدة آنذاك. ويظهر منها أن الفن الروائي أصبح له من التقدير والاحترام، ما حدا بخليل بيدس أن يشيد بفن الرواية، ويهاجم المتطفلين عليه الذين أساؤوا إليه بالترجمة حيناً والتأليف حيناً آخر، كما يبدو منها الغيرة الأكيدة لديه على هذا الفن الأدبي الناشىء، وطموحاته في أن يقوم هذا الفن بدور مهم في تطوير المجتمع وتقويم أهدافه. ان أهم هذه الآراء والمواقف تبدو في ما يلي:

(أ) **إحساسه المبكر بأهمية الرواية ودورها:** يقول خليل بيدس: «لا يجهل أحد ما للروايات من الشأن الخطير والمقام الرفيع بين سائر كتب الأدب عند جميع الأمم؛ فهي أعظم أركان المدنية، وفي مقدمة المطبوعات انتشاراً وتداولاً، وأشدها رسوخاً في النفس والقلب، وأثبتها أثراً في الأخلاق والعادات، وأعظمها عاملاً في الهدم والبناء، لأن فيها تمثيلاً لمظاهر الحياة وصورها من خير وشر، وفضيلة ورذيلة، وعدل وجور، وصدق وكذب... وفيها وصف أحوال الأمم، وعبر الزمان، وحوادث الحب والغرام، والحرب والسلام»[١٧]. ان هذه النظرات في طبيعة فن الرواية، تعتبر متقدمة وجريئة وفي غاية الأهمية، إذا أخذنا في الاعتبار أنه يجهر بها في فلسطين عام ١٩٢٤.

(ب) لمن يكتب الروائي؟ يقول خليل بيدس: «...الروائي يكتب للعامة، وهم السواد الأعظم من كل أمة، يكتب للنفوس الحائرة، والقلوب المتألمة. يكتب للنفوس الجائعة والقلوب الظمأى. والعامة يميلون إلى الرواية لأنها كتابهم ورفيقهم وعشيرتهم، وهي أجمل ما يتلهون به في ساعات فراغهم، وأفضل ما يرتاحون لمناجاته في خلوتهم، وأنجع ما يتوسل به لإصلاح عاداتهم وتثقيف أخلاقهم، وأعذب مورد يستمدون منه البصائر»[١٨]. ويتضح أن هذا الرأي، على أهميته، لا يزال يرى أن من مهمات الرواية التسلية والترفيه؛ فهي